المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

معوقات الحوار بين الإسلام والغرب وآليات تجاوزها

The obstacles to the Islamic and western exchange and the mechanisms to overcome it

رزيق رابح: طالب دكتوراه، جامعة محمد بن أحمد، وهران 2.

رزقي بن عومر، أستاذ محاضر (أ)، جامعة محمد بن أحمد، وهران 2.

تاريخ الإرسال: 2019/01/24	تاريخ القبول: 2019/05/22	تاريخ النشر: 2019/09/29

ملخص:

منذ بدء اليقظة العربية مع منتصف القرن التاسع، شكلت ثنائية الإسلام والغرب إشكالية محورية في فضاء الفكر العربي والإسلامي الحديث والمعاصر، على اعتبار أن مسألة النهضة العربية وتحقيق التقدم، كانت ولا تزال مرتبطة بشكل أو بآخر بعلاقاتنا مع الآخر، في هذا السياق يهدف بحثنا إلى محاولة تبان معوقات الحوار بين الإسلام والغرب، وعرض الآليات التي من خلالها يمكن تجاوز هذه المعوقات14.

الكلمات المفتاحية: الإسلام؛ الغرب؛ الحوار؛ العولمة؛ الإرهاب؛ التعايش؛

Summary :

Upon the Arabic intellectual awakening in the mid 19th century the Arabic western duality created a central conflict in the medium of Arabic Islamic modern intellect

Considering that the case of the Arabic rise and achievement of advancement was and is one way or another connected to our relationship with the other, thus in this context our research 's purpose is to demonstrate the obstacles to the exchange between the Islamic and western sides and the mechanisms with which we can overcome it.

Keywords : Islam; West; dialog; globalization; terrorism; coexistence ;

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يمثل الغرب بالنسبة للعرب والمسلمين تحديا حضاريا حقيقيا وواقعا مفروضا وملحاً بكل ملابساته الثقافية والسياسية والاقتصادية خصوصا في ظل المتغيرات التي شهدها العالم في الآونة الأخيرة.

وفي سياق هذا التحدي تبلورت عدة إشكاليات، أخذت طابع الثنائية في كثير من الأحيان، من قبيل الأصالة والمعاصرة، التراث والحداثة، الأنا والأخر، الإسلام والغرب...، وكان الفكر الإسلامي المعاصر مدعواً للنظر في هذه الإشكاليات والتعاطي معها بكل ما تحمله من اتساع معرفي وثقل دلالي، فظهرت العديد من الكتابات التي تتناول علاقة الإسلام بالغرب وأُقيمت الندوات والمؤتمرات للبحث في مقولات الحوار بين الأديان والتعايش السلمي بين الحضارات في مقابل أصوات أخرى تؤكد على حتمية صراع الحضارات والثقافات.

أولاً: الإسلام والغرب، محاولة لتحديد المصطلح:

من الضروري عند الحديث عن ثنائية الإسلام والغرب، أن نقف عند مفهوم ودلالة مصطلح "الإسلام" ومصطلح "الغرب"، فلهذين الاصطلاحين دلالات عديدة ناشئة من تعدد الزوايا التي ينظر منها الباحث إلى هذا الموضوع، أو الفلسفة التي يؤمن بها، وأن نحاول كذلك، أن نكشف عن ما يكتنفهما من غموض، يتشعب إلى السياسي والثقافي مرورا بالاجتماعي والإرث التاريخي والحضاري.

ولهذا فإنه من "خلال تناولنا لواقع العلاقة بين الإسلام والغرب، يجدر أن ننطلق من قضية مركزية تتمثل في كون الإسلام ليس وحدة متجانسة أو شيئا واحدا كما يتبادر إلى الأذهان عند الوهلة الأولى، بل هناك اليوم على مستوى الفهم والممارسة عدة أنواع من الإسلام، ويُقاس الأمر نفسه على الغرب، الذي يخضع لعملية انقسام حاد"[1].

وعليه فإن مصطلحي "الإسلام" و"الغرب" فضفاضان للغاية ويستوعبان مساحات شاسعة ومتنوعة من العالم ويضمان خليطا من الثقافات والعادات والمفاهيم، ورغم ذلك فإنه في لحظات المواجهة يتم اختزالهما بشكل يثير حفيظة الطرفين، "وإذا كان تعريف "الإسلام" صعبا فإن تعريف "الغرب" يبدو أصعب، ليس فقط للغربيين ولكن للمسلمين أيضا، ففي بعض الأحيان يعني "الغرب" بالنسبة للمسلمين كل العالم الصناعي بما في ذلك اليابان، وأحيانا يعني "الغرب" الدول الإستعمارية السابقة ـ وكلها أوربية ـ وفي حالات أخرى يُختصر مفهوم "الغرب" في الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها قوة غربية قيادية تملك الهيمنة السياسية والثقافية والإقتصادية على العالم الإسلامي، وحتى عندما

[1] عبد القادر بوعرفة، الإسلام والغرب: معوقات التحاور والتجاوز، (كتاب جماعي)، المسبار للدراسات والبحوث، ط1، 2010، ص180.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

نتعامل مع مفهوم الغرب على أنه الولايات المتحدة فإنه ليس هناك أمريكا واحدة"[1]، لذلك فإن الوقوف على مصطلحي الإسلام والغرب ليس بالأمر الهيّن وهو ما يتطلب قدرا كافيا من الالمام ومن الدقة في الطرح والتحليل.

ثانيا: الإسلام والغرب: رؤية من زاوية الانعكاس والصورة

1 – صورة الغرب عند العرب والمسلمين:

يعكس موقف المسلمين من الغرب صورة ملتبسة بحيث "يتخذ الخطاب الإسلامي في الغالب موقفا عدائيا من الغرب، ويمكن تبرير هذه العدائية انطلاقا من الممارسات الوحشية للغرب المستعمِر في البلاد الإسلامية المستعمَرة، ولذلك كان من الصعب أن يقرأ الغرب من زاوية معرفية أو حضارية"[2].

هذه العدائية تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، فمن أيام الحروب الصليبية وإلى اليوم لا يزال العداء قائما بين الإسلام والغرب لذلك "فإن المسؤولين السياسيين والدينيين في العالم العربي والإسلامي لا يزالون إلى اليوم يستشهدون بصلاح الدين وسقوط القدس واستعادتها... لذلك يبدو واضحا أن الشرق العربي والعالم الإسلامي لا يزال يرى في الغرب عدواً طبيعياً، وكل عمل عدائي ضده سواء أكان سياسياً أم عسكرياً أم بترولياً ليس سوى ثأرٍ شرعي ولا يمكن الشك في أن الصدع بين هذين العالمين يعود تاريخيا إلى الحروب الصليبية"[3].

ويبدو أن ما زاد من هذا الصدع والعدائية بين الإسلام والغرب في أيامنا هذه هو كشف الغرب عن وجهه الإستعماري البغيض، ليس فقط من خلال استغلاله للبلاد العربية والإسلامية عسكريا وإقتصاديا، ولكن أيضا من خلال الأزمة التي عاشها هو نفسه بداية من الحربين العالميتين اللتين راح ضحيتهما ملايين البشر في أوربا وحدها، وانتهاءً بالحرب الباردة والتوتر الذي عاشه الغرب وجعله يتنافس على انتاج مختلف الأسلحة المدمرة وتجريبها على بلدان العالم الإسلامي، وذلك ما تجلى من خلال حرب الكويت وحرب العراق وأفغانستان وليبيا وغيرها.

وبالرغم من كل ذلك فإننا لا ننفي وجود وجه مخالف للغرب نظر إليه العرب والمسلمون بكثير من الإعجاب خصوصا مع بداية اليقظة العربية في منتصف القرن التاسع عشر، وهو ما تجلى من خلال كثير من الكتابات بداية من رفاعة الطهطاوي ومحمد عبده مرورا بطه حسين ووصولا إلى أدونيس وعلي حرب والعروي وغيرهم، الذين أكدوا على ما للغرب من بعد حضاري بما يمثله من علم وتقانة وفنون.

---

[1] حسني محمد نصر، مشكلات الجغرافيا السياسية بين الإسلام والغرب، مجلة إسلامية المعرفة، عدد9، لبنان، 1977، ص176.

[2] فارح مسرحي، الحداثة في فكر محمد أركون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006، ص164.

[3] أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة: عفيف دمشقية، دار الفارابي، لبنان، ط1، 1997، ص328.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وأمام هاتين الرؤيتين المزدوجتين للغرب في عيون العرب والمسلمين، كان لا بد أن نجعل من الآخر الغربي موضوعا للتفكير والمعرفة، فمثلما فعل الغرب ذلك اتجاه العرب والمسلمين من خلال الإستشراق. علينا نحن كذلك أن نؤسس لفرع معرفي جديد مهمته جعل الآخر الغربي موضوعا للإكتشاف والتفكير، وهذا ما يدعو إليه حسن حنفي من خلال مفهوم "الاستغراب" الذي "يهدف إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر، والجدل بين مركب النقص عند الأنا ومركب العظمة عند الآخر"[1]

2- صورة الإسلام والمسلمين عند الغرب:

مثلما يلتبس مفهوم الغرب بالنسبة للعرب والمسلمين، فإن مفهوم الإسلام يبدو أكثر التباسا عند الغربيين، أو أن ثمة نية مسبقة لجعل هذا المفهوم ملتبسا، وعليه فموقف الغرب من الإسلام والمسلمين ليس أقل عدائية من موقف المسلمين من الغرب باعتبار أن الإسلام بالنسبة للغرب يمثل "العدو الأخطر على الإطلاق لأوروبا وقد اصطلح عليه بالعدو الأخضر، مثلما قالوا عن الشيوعية العدو الأحمر، وتتجلى تلك الدعوة المقصودة في خطابات الكثير من الغربيين، فمن الدعوة إلى هدم الكعبة ونسفها نسفا مطلقا، إلى وصف الإسلام بأنه دين شيطاني على لسان القس البروتستانتي المعروف فرانكلين غرام، ثم إلى افتراءات بيرلسكوني الذي يعتقد أن حضارة الغرب تعتبر أرقى من الحضارة الإسلامية"[2].

وكما أن المسألة التاريخية تشكل عاملا مهما في نظرة المسلمين إلى الغرب فهي بالنسبة إلى الغرب في نظرته تجاه الإسلام والمسلمين تعد أيضا عاملا مهما، فالغرب ما يزال يتذكر الحروب الصليبية ومعارك المسلمين ضده في حطين وعين جالوت وحصار الأتراك لفيينا وغير ذلك، وبالتالي فإن "تصورات الغرب العدائية تجاه الإسلام لها جذور تبلغ من العمر ألف عام"[3]. وبالرغم من أن مستويات العداء الغربي تجاه الإسلام والمسلمين كانت متباينة تاريخيا فإن ما نشهد اليوم يوحي بأن الأزمة قد بلغت مستويات خطيرة، خصوصا في ظل ما أتاحته التكنولوجيا الحديثة من أدوات للنشر والدعاية الإعلامية، ليصبح الرأي العام في الغرب مرتبطا بما تصنعه أدوات الثقافة العامة هناك التي يروج لها الإعلام الغربي "فصورة الإسلام هي واحدة ثابتة لا تتغير من أي زاوية نظرت اليها ومهما تكن المادة التي تعرضها، يستوي في ذلك الكتب المدرسية المقررة في مادة التاريخ والأشرطة الهزلية والمسلسلات التلفزيونية والأفلام الكوميدية والروايات الحديثة... ونجد إضافة إلى ذلك أن الهامش المتاح للتعاطف مع الإسلام هو هامش ضيق جداً، والمجال يضيق بالحديث أو حتى مجرد التفكير المتعاطف مع الإسلام ناهيك عن محاولة عرضه، أو عرض أي شأن اسلامي عرضا متعاطفا"[4].

---

[1] حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية للنشر، مصر، د ط، 1991، ص29.

[2] عبد القادر بوعرفة، مرجع سابق، ص186.

[3] دراسات ألمانية، صورة الإسلام في التراث الغربي، ترجمة: ثابت عيد، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، د ط، 1999، ص54.

[4] ادوارد سعيد وبرنارد لويس، الإسلام الأصولي، دار الجيل، لبنان، ط1، 1994، ص37.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وبالرغم من كل ذلك فإننا لا ننفي وجود رؤية غربية إيجابية للإسلام والمسلمين وقد تجلت تلك الرؤية خصوصا في عصر التنوير الأوروبي وعصر الرومنسية "فمع الروح المتسامحة لعصر التنوير بداية من القرن السابع عشر من ناحية، وروح عصر الرومنسية (1760 ـ 1830) المتميزة بالحماسة والهيام من ناحية أخرى، وكذلك مع حركة الإستشراق التي كانت تتطور ببطء، بدا وكأن الغربيين قد تجاوزوا تصوراتهم العدائية تجاه الإسلام والمسلمين، وحتى الدين الإسلامي أصبح يُنظر اليه الآن أحيانا نظرة ايجابية"[1]، وهو ما تجلى مع كتابات بعض الغربيين أمثال ليبنتز وليسينغ وجوته وغيرهم.

من خلال عرض صورة عامة عن موقف المسلمين والعرب من الغرب من جهة، وموقف الغرب من الإسلام والمسلمين من جهة ثانية يتضح أن ثمة صورة عدائية يحملها الطرفان تجاه بعضهما البعض، وهو ما يؤكد غياب الثقة بينهما "وقد اظهرت ذلك كتابات بعض المفكرين الغربيين المعاصرين امثال فوكوياما وهنتنجتون وبرنارد لويس وغيرهم"[2]، وهو ما يعني وجود قطبين حضاريين متنافسين تنافسا شديدا متمثلان في الإسلام والغرب.

ثالثا: معوقات الحوار بين الإسلام والغرب

قبل أن نتطرق إلى طرح أبرز المعوقات التي تقف في وجه الحوار بين الإسلام والغرب لا بأس أن نؤكد ابتداءً على امكانية قيام حوار برغم كل تلك المعوقات من جهة، ومن جهة أخرى نؤكد على حقيقة موضوعية لا يمكن القفز عليها وهي أن اشكالية الإسلام والغرب تعد من أعقد الاشكاليات التي تواجه الفكر العربي والإسلامي المعاصر من جهة والفكر الغربي من جهة أخرى، نظراً للمضامين المعقدة والمتشابكة التي تحيل إليها هذه الإشكالية وترتبط بها، بما في ذلك المضامين التاريخية والسياسية والثقافية والدينية والإعلامية.

1- المعوقات التاريخية:

سبق وأشرنا إشارة سريعة إلى بعض هذه المعوقات ونحن نتحدث عن نظرة المسلمين والغربيين إلى بعضهما البعض، وقلنا إن الحمولة التاريخية بين الطرفين ثقيلة، "فبعد انتقال المسيحية إلى الغرب ومجيئ الإسلام صار الصراع صراعاً دينيا وإن غلب عليه العنصر السياسي أو الاقتصادي في بعض الأحيان، لقد بدأ الإسلام يتسع شرقا وغربا بسرعة مذهلة وصار يهدد الروم في عقر ديارهم، وبعد أن فتح المسلمون الأندلس وصقلية وصارت لهم أساطيل بحرية قوية تهدد الروم في حدوده الجنوبية أعدت أوربا المسيحية عدتها ووضعت الخطط الدفاعية على المدى القريب والهجومية على المدى البعيد فكانت

[1] دراسات ألمانية، مرجع سابق، ص56.

[2] عطا محمد حسن زهرة، تكامل الحضارات بين الاشكاليات والامكانيات، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2014، ص79.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الحروب الصليبية"[1] (490 ـ 670هـ)، وفي الوقت الذي استفادت أوربا من حملاتها الصليبية ضد الشرق اقتصاديا وثقافيا، أفضى الحال بالعرب والمسلمين إلى عصور طويلة من الانحطاط والظلامية انغلقوا فيها على أنفسهم واقتصر نشاطهم الفكري على اجترار التراث.

بعد أن فتح المسلمون القسطنطينية سنة 1453م، الموافق لـ 856هـ، زحف الأتراك باتجاه فيينا وقاموا بحصارها سنة 1529م الموافق لـ 935هـ، ليعود التوتر من جديد بين الإسلام والغرب، وكان فتح النمسا وجعلها ولاية عثمانية أعظم دليل على قوة المسلمين ممثلة في الدولة العثمانية، لكن بالرغم من ذلك لم يكن التوتر شديدا مثلما كان خلال الحروب الصليبية أو مثلما هو قائم الآن.

مع نهاية القرن الثامن عشر بدأ الغزو الغربي لبلاد الإسلام والمسلمين فيما يعرف بالإستعمار الحديث الذي تزعمته الدول الأوربية على وجه الخصوص، وكانت البداية من حملة نابليون على مصر سنة 1798م، ثم احتلال الجزائر سنة 1830م، وتوالت الحملات الإستعمارية خصوصا بعد الحرب العالمية الأولى وسقوط الخلافة العثمانية، وخلال هذه الفترة أعرب الغرب الإستعماري عن وجه بغيض، فقد "ساد الاعتقاد بأن الجنس الأبيض (الغربي) جنس متفوق بعنصره على الأجناس الأخرى وأنه من حقه بل من واجبه أن يحكم تلك الشعوب ويقودها إلى طريق الحضارة!"[2]، وانتهى الإستعمار الغربي للبلاد الإسلامية في العصر الحديث إلى أزمة حقيقية حين ساهم مساهمة فعالة في إنشاء كيان صهيوني في قلب العالم الإسلامي، وهذا ما عمق من ثقل الحمولة التاريخية القائمة على الصراع بين الإسلام والغرب.

بالرغم من كل ذلك ثمة مسألة ينبغي الإشارة إليها في هذا المقام وهي أن تاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب لم يكن كله تاريخ صراع واحتراب، فقد سادت بعض فترات التاريخ حالة من الاستقرار وذلك ما يمكن تلمحه في الفترة الواقعة بين القرنين السابع عشر والثامن عشر، وهي فترة عرفت في الغرب بشيوع روح التسامح خلال عصر الأنوار، وكأن ذلك يوحي بأن دفع روح التوتر أو إخماده كان دائما بيد الغرب.

2- المعوقات السياسية والإعلامية:

أ- النظام الدولي الجديد:

مع نهاية حقبة الثمانينيات وسقوط الإتحاد السوفياتي الشيوعي، الذي كان يمثل التهديد الأكبر بالنسبة للغرب خلال الحرب الباردة، دخل العالم مرحلة جديدة تزعمه فيها الغرب ممثلا في الولايات المتحدة الأمريكية "التي بدت وكأنها قوة عظمى لا تدانيها من حيث إمكانياتها الإقتصادية والعسكرية

[1] شلتاغ عبود، مرجع سابق، ص37.

[2] ـ جعفر شيخ ادريس، صراع الحضارات بين عولمة غربية وبعث اسلامي، مركز البيان للدراسات والبحوث، السعودية، ط1، 2011، ص65.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

والتقنية والإعلامية قوة اخرى، وبدأت تظهر تبعا لذلك معالم نظام عالمي جديد، ما تزال تفاصيله محل نقاش كبير في الولايات المتحدة الأمريكية"[1]، ذلك النظام الجديد الذي بشرت به الولايات المتحدة الأمريكية وهي تقصف بقواتها وترسانتها العسكرية بلدا عربيا وإسلاميا اسمه العراق، وبعد انتهاء حرب الخليج تلك أعلن الرئيس الأمريكي "جورج بوش" بأسلوب رومنسي عن الشعارات الجديدة التي يتأسس عليها هذا النظام العالمي الجديد من قبيل العدالة والانصاف والحرية واحترام حقوق الإنسان!، وهذه المقولات كان من شأنها لو طُبقت واعتمدت أن تجعل العالم أفضل قليلا.

لكن بالموازاة مع هذه الشعارات بدا وكأن العالم يسير إلى مزيد من التوتر والصدام فمقدمات وملامح النظام الجديد كانت توحي أن صراعا من نوع آخر سيفرض نفسه على كل الأطراف دون استثناء، ولعل أدوات الصراع الرئيسة تمثلت أول الأمر بجملة مفاهيم ومصطلحات جديدة منها "نهاية التاريخ" و"الأصولية" والتطرف" و"العولمة" وغيرها.

كان موضوع هذه النعوت دول العالم الإسلامي، فقد كانت هي الأخرى تحت هذا الضغط الذي فرضته الولايات المتحدة الأمريكية من خلال النظام العالمي الجديد، وكانت البداية من حرب الخليج 1990م، التي أعطت فيها الولايات المتحدة الأمريكية نفسها حق الوكالة على الكويت لتحريرها من بطش "صدام حسين" كما كان الإدعاء الأمريكي آنذاك، لتتوالي الأحداث بحرب أفغانستان 2001م، مرورا بالعراق 2003م، ووصولا إلى أحداث ما سمي بالربيع العربي وما تلاه، وكان أن أبانت هذه الأوضاع السياسية والإقتصادية عن غطرسة غربية ليس لها مثيل.

ب- محاربة الإرهاب وتشويه صورة الإسلام في الإعلام الغربي:

كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م، منعرجا خطيرا في علاقة الإسلام والمسلمين بالغرب، فمنذ تلك اللحظة "تصدر مصطلحا "الإرهاب" و"التطرف" قائمة أولويات مختلف دول العالم، ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية إذ أصبحت المسألة الأمنية بالنسبة اليها المحك الرئيس والأساس في علاقتها بباقي دول العالم، وبخاصة دول منطقة الشرق الأوسط وتجلى ذلك في خوضها حرب أفغانستان 2001م، ثم حرب العراق 2003م، والنهج العدواني تجاه إيران"[2]، وفي الحقيقة فإن مصطلح الإرهاب ظل إلى اليوم بعد 2001م، محل جدل كبير، ولم يُتفق دوليا على إعطاء تعريف واضح للإرهاب، وبدا أن وصف ظاهرة الإرهاب أسهل من تعريفها.

ويبدو أن أكثر العوامل التي أدت إلى انتشار وطرح ظاهرة الإرهاب هو الإعلام، خصوصا في الغرب الذي يحاول جاهدا تصوير علاقة موضوعية بين الإسلام والإرهاب "وأضحت أي عملية تخريبية مقرونة بالعرب والمسلمين بغض النظر عن الوجهة الجغرافية التي حدث بها التخريب وقام بها العنف، واستطاع

---

[1] المرجع السابق نفسه، ص48.

[2] سامر ابو رمان، الصراع العربي الاسرائيلي في استطلاعات الرأي الأمريكية، المركز العربي للأبحاث، لبنان، ط1، 2013، ص139.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الإعلام الغربي أن يُبعد النظر والتركيز والأضواء عن التخريب الصادر عن الأمم الأخرى غير الإسلامية، لاسيما الأمم المنحدرة عن الأصول الأوروبية كما يحصل في الأمريكيتين وكما يحصل من اليهود في فلسطين المحتلة"[1]، بل إن الإعلام الغربي استطاع ان يبعد النظر عن أعمال عنف حدثت في عقر داره، خصوصا في الولايات المتحدة الأمريكية التي يشكل العنف في مجتمعها ظاهرة حية، ما يعني في النهاية أن العنف والإرهاب ليس مقرونا بالمسلمين وحدهم، ثم إن ما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية من انتهاك لحقوق الشعوب الأخرى واستعمال القوة العسكرية ضدهم يمثل كذلك صورة واضحة عن معنى الإرهاب المنظم الذي تقوده مؤسسات ودول.

يبدو أن ما يتم ترويجه في الإعلام الغربي عن الإسلام والمسلمين يختزل الكثير من الجوانب الحضارية التي يتمتع بها الإسلام، فيكتفي هؤلاء بتغطية جوانب محددة ولذلك فإننا "لا نبالغ بالقول إن العرب والمسلمين تتم تغطيتهم الإعلامية أساسا بوصفهم موردي بترول أو إرهابيين محتملين، أما تفاصيل الحياة العربية الإسلامية والكثافة الشعورية الإنسانية وزخمها النابض فلا يوجد وعي حقيقي بها"[2]

3- معوقات ثقافية ومعرفية:

شهد العالم في العقود الأخيرة تحولات عميقة وصاحبها تحولات ثقافية ومعرفية، وانبثقت نتيجة لذلك العديد من المفاهيم التي تعبر عن هذه المستجدات، وكان العنوان الثقافي الأبرز هو "العولمة" التي حظيت في الفكر العربي والإسلامي المعاصر باهتمام بالغ من قبل النخب الثقافية باعتبار أنها تشير إلى عملية تحول تاريخي واسع وشامل لكل المجتمعات، بما فيها المسلمة التي تحاول الوقوف في وجه هذا التحول الذي ينطوي على الكثير من السلبيات "وهذا أمر طبيعي باعتبار أن الأديان التقليدية بما فيها المسيحية في الغرب تؤكد على معاني الهدوء والاتزان ولا تشجع كثيرا على التغيير بينما ثقافة العولمة وما بعد الحداثة ثقافة مؤسسة على الشباب والتغير والسلوك الاستهلاكي"[3]

أمام هذا الواقع الجديد يمكن فهم ردود الفعل الرافضة للعولمة من قبل المجتمعات الإسلامية التي ترى في العولمة تهديدا للثوابت الثقافية التي حملوها لآلاف السنين.

إضافة إلى هذه المستجدات الثقافية الراهنة، شكل موضوع الإستشراق بما يحمله من مضامين ثقافية وإيديولوجية عائقا آخر في طريق الحوار بين الإسلام والغرب "فمنذ نهاية القرن الثامن عشر على أقل تقدير سيطر على ردود الفعل الغربية نحو الإسلام نوع من التفكير المختزل والبسيط في جوهره، وهذا النوع من التفكير لا نزال إلى يومنا هذا نملك القدرة على تسميته بالإستشراق"[4]، الذي وإن كان قد مر

---

[1] علي بن ابراهيم النملة، الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها، بيسان للنشر، لبنان، ط3، 2010، ص ص59، 60.

[2] ادوارد سعيد وبرنارد لويس، مرجع سابق، ص58.

[3] محمد حسام الدين، العولمة وصورة الإسلام، المدينة بيرس، مصر، ط1، 2002، ص233.

[4] ادوارد سعيد وبرنارد لويس، مرجع سابق، ص34.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

بأطوار مختلفة منذ نشأته إلا أن الصبغة العامة التي ميزته في نظر المسلمين هو أنه عدو ثقافي عمل على خدمة مطامح الإستعمار الغربي، وهو إلى الآن لا يزال يقدم خدماته للإمبريالية العالمية.

في هذا السياق لا يمكن أن ننسى الإشارة إلى ما للإستشراق من صلة بينه وبين التنصير باعتبار أنهما يلتقيان في الأهداف والغايات وإن اختلفت الوسائل، وهو ما يفتح الباب للحديث عن المعوقات الدينية والعقدية بين الإسلام والمسيحية على وجه التحديد، فالغرب ينظر إلى الإسلام على أنه دين دموي وأن عقيدته تدفع إلى الجهاد وقتال الكفار، وأنه يقسم العالم إلى دار حرب ودار سلام ومن ثمة فإن حدود الإسلام هي حدود دموية وفي ذلك يقول صامويل هنتنغتون: "إن هنالك محاجة أن الإسلام كان دينا للسيف منذ البداية وأنه يمجد فضائله القتالية، فالإسلام نشأ بين قبائل بدوية رحل متناحرة وهذه النشأة العنيفة مطبوعة في أساس الإسلام، فيذكر عن "محمد" أنه كان مقاتلا عنيفا وقائدا عسكريا ماهرا، ولا أحد يستطيع أن يقول ذلك عن "المسيح" أو عن "بوذا""[1].

ونحن نتحدث عن العوائق الثقافية التي تقف في طريق الحوار بين الإسلام والغرب لا يمكننا إغفال أهمية مقولتي "صدام الحضارات" و"نهاية التاريخ" في تعميق الأزمة القائمة بين الإسلام والغرب، وهما مقولتان معبرتان عن النظام الدولي الجديد فالتبشير بنهاية التاريخ الذي هو عنوان كتاب المفكر الأمريكي فرانسيس فوكوياما يحمل في طياته نزعة عدوانية تجاه كل ما هو غير غربي إذ يرى فوكاياما من خلال كتابه هذا "أن الولايات المتحدة الأمريكية مدعوة إلى استبدال البندقية من الكتف اليسرى إلى الكتف اليمنى وأن تظل على أهبة الاستعداد من موقع قيادتها للعالم لمواجهة الصراعات الحضارية المحتملة، وحجة فوكوياما في ذلك أنه إذا كانت الليبرالية بقيادة أمريكا قد تخلصت من عدوها التقليدي ممثلا في الشيوعية فإن الخطر كل الخطر في أن تخلد أمريكا وحلفاؤها إلى نوع من الإسترخاء الذي يولد الفراغ ومن ثم فإن هذا الفراغ ينبغي ملؤه ببديل للعدو الشيوعي الزائل إذا ما أريد للتاريخ أن يظل مملوءا وفعالا فالتاريخ كالطبيعة يموت بالفراغ"[2].

في الحقيقة أن فوكويا قد استلهم في مقولته هذه كثيرا من أفكار "هيغل" حول طبيعة التاريخ وقوانينه، التي يحكمها الصراع والصراع المضاد، الذي يظل قائما ولا ينتهي إلى عقد اجتماعي وتوافق حضاري مثلما تذهب إليه نظرية جون لوك.

وبالنسبة لمقولة "صدام الحضارات" يبدو أن لها، هي الأخرى، وقعا سيئا على العلاقة بين الإسلام والغرب، فهنتنغتون يحاول من خلال مقالته هذه أن يؤكد على فكرة الصراع كطبيعة حتمية قائمة ما بين الحضارات، فالصراع في العالم الجديد بحسبه لن يكون إيديولوجيا أو إقتصاديا ولكنه سيكون صراعا ثقافيا بين الحضارات، ولتأكيد مقولته هذه حاول هنتنغتون أن يقدم تسلسلا لمراحل الصراع بين

[1] صامويل هنتنغتون، صدام الحضارات، ترجمة: طلعت الشايب، طبعة سطور، العراق، ط2، 1999، ص ص 426 – 427.

[2] عبد الرزاق قسوم، مجلة دراسات فلسفية، الجزائر، عدد1، 1996، ص31.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الحضارات منذ القديم وإلى اليوم، واعتبر ان ما يهم الناس مع حلول النظام العالمي الجديد "ليس الايديولوجيا أو المصالح الإقتصادية، بل الايمان والأسرة والدم والعقيدة فذلك هو ما يجتمع عليه الناس، وما يحاربون من أجله، ويموتون في سبيله، كما يعلن أن الدين محوري في العالم الحديث، وربما كان القوة المركزية التي تحرك البشر وتحشدهم"[1]، وقد علق محمد عابد الجابري عن مقالة صدام الحضارات هذه قائلا: "إنها من أردء ما قرأت لكاتب بهذا الاسم فالأفكار تتكرر وتتدافع والشواهد تتداخل في غير نظام والتحليل مضطرب والإستدلال متهافت والأمثلة تعج بالمغالطات، كل ذلك يدل على أن المبدأ الذي يحكم النص هو المبدأ المعروف "الغاية تبرر الوسيلة" ومن الوسائل التي يستعملها الكاتب وبحقد كما يبدو ذلك واضحا للقارئ المتمعن اللجوء إلى التعميم واصطناع الغموض والقفز من قضية إلى اخرى ومن مثال إلى اخر بمناسبة وبغير مناسبة، وذلك هو أسلوب المغالطة كما هو معروف في المنطق"[2].

4- معوقات أخرى:

إلى جانب كل هذا هنالك معوقات اخرى تقف في طريق الحوار بين الإسلام والغرب ويمكن ان نذكر منها على سبيل الاختصار[3]:

أ- معوقات دينية وعقدية: وهي جملة من الإختلافات الدينية والعقدية بين الإسلام والمسيحية من جهة وبين الإسلام واليهودية من جهة أخرى، ومن أمثلة ذلك أن الإسلام يشدد على مسألة التوحيد ونبذ الشرك في حين أن قسما كبيرا من المسيحيين يجعلون لله شركاء في صورة المسيح عليه السلام وأمه مريم العذراء، وأن الإسلام لا يفرق بين أحد من أنبياء الله ورسله ويعتبرهم مسلمين لله، في حين يعيب كثير من المسيحيين على الأنبياء الذين جاؤوا قبل المسيح ويعتبرونهم لصوصا، كما نسب ذلك انجيل يوحنا للمسيح حين قال: "قال لهم يسوع أيضا الحق الحق أقول لكم إني أنا باب الخراف، جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص ولكن الخراف لم تسمع لهم، أنا هو الباب إن دخل بي أحد فيخلص... أنا هو الراعي الصالح"[4].

ب- الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا): وهي قضية باتت من القضايا المحورية التي تشغل الرأي العام والدوائر الرسمية في أوربا والغرب عموما وألقت بظلالها على الإسلام والمسلمين باعتبار أن ثمة تُهمة كبيرة باتت توجه اليوم إلى الإسلام بوصفه دين إرهاب وقتل وسفك دماء، وفي ظل هذا تغيب الثقة بين الإسلام والغرب ويصبح من الصعب التواصل بين هذين الثقافتين والحضارتين.

رابعا: في أهمية الحوار وجدواه

---

[1] صامويل هنتنغتون، مرجع سابق، ص10.

[2] محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط2، 2003، ص93.

[23] الاختلاف حول المسائل التالية: المرأة وحقوق الانسان، الديمقراطية، الحرية والعقلانية، الحداثة، الروحانية والمادية، التقدم والتخلف، الاستغلال الاقتصادي والشركات المتعددة الجنسيات...

[4] أنظر: أحمد عبد الوهاب، الإسلام والأديان الأخرى، مكتبة التراث الإسلامي، مصر، د ط، 1992، ص55.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يبدو أن المسلمين والغربيين مدعوون اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى تفعيل آليات الحوار بينهما، نظرا لمعطيات الراهن التي تعج بمظاهر التشاحن والعداء، ونظرا لأننا "نجد أن اللغة السائدة اليوم هي لغة التصارع والتضاد. وفي أحيان كثيرة هي لغة الرشاش!. ومعلوم أنه حين يتكلم الرشاش يخرس الفكر"[1] ولذلك ينبغي اللجوء إلى الحوار، وطالما أننا فشلنا من خلال سياسة العنف والعنف المضاد بين الطرفين فنحن بحاجة إلى حل بديل يتمثل في الحوار الجاد.

من هنا فإن ما يعزز هذا الخيار من جهة الغرب هو أنه بات مطلوبا في قطاع من أوساط الرأي العام هناك، ففي مقابل ما يُعرف باليمين المتطرف هناك صوت الحوار الذي يمثل قطاعا لا بأس به، باعتبار أن الغرب بات "يخاف من تنامي الموجة القتالية التي برزت. ليس فقط في تنظيمات القاعدة. وإنما قد يصل هذا الخيار إلى عدد من الخلايا النائمة في الفكر الأصولي الإسلامي[2]، ويعتقد الأوربيون أن هذه الفوبيا من الإسلام التدميري يمكن الخلاص منها بحوار الحضارات والأديان والثقافات الذي يوجد مناخا سليما بين الشعوب والأمم والثقافات"[3]

ومن الطرف الإسلامي فإن ما يعزز ضرورة الحوار مع الغرب هو أن "شعوب العالم الإسلامي ضعيفة عسكريا واقتصاديا ولا قبل لها بمواجهة القدرات الغربية، لذلك عليها أن تستبدل علاقات المواجهة بعلاقات الحوار"[4]، ومع ضعفها ذاك، فهي تمتلك إمكانا قويا يفتقده الغرب متمثلا في قوة الروح المعنوية التي ينطوي عليها دينهم.

خامسا: آليات الحوار بين الإسلام والغرب

ثمة حقيقة موضوعية لا يمكن القفز عليها ابتداءً وهي أن إمكانية الحوار في المدى المنظور تبدو صعبة إلى درجة كبيرة جداً، ولكن مع ذلك فإن الإمكانية تظل قائمة وفي سبيلها نسمع كثيرا من الأصوات الداعية إلى إقامة حوار بين الإسلام والغرب من هنا وهناك، مع أنه في كثير من الأحيان تبدو أطروحة حوار الأديان أو حوار الحضارات والثقافات أطروحة تلفيقية وتحمل كثيرا من النفاق، ثم إن كثيرا من الإجتماعات التي تعقد لحوار الأديان والحضارات والثقافات يحضرها غالبا رجال الدين والمهتمين بالأديان، وهؤلاء أمام صناع القرارات السياسية لا حول لهم ولا قوة، وبالتالي فإن توصياتهم في النهاية تظل حبرا على ورق.

مع كل هذه الصعوبات وغيرها فإن التاريخ يعلمنا أن التعايش السلمي بين الأديان والثقافات والحضارات يظل يحتفظ بهامش من الإمكانية، وخير دليل ما كان قائما في حاضرة الأندلس الإسلامية

---

[1] فارح مسرحي، مرجع سابق، ص162.

[2] لاحظ المشاكل التي يجدها الغربيون . خصوصا في فرنسا وبلجيكا . مع مواطنين غربيين مسلمين، ولدوا وتربوا هناك في مدارس غربية.

[3] عبد الأمير كاظم زاهد، حوار الأديان والثقافات اشكالية الجدوى، مجلة المنهاج، عدد69، العراق، 2013، ص54.

[4] المرجع السابق نفسه، ص54.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وغيرها من الحواضر التي شهدت تعايشا بين الأديان التوحيدية الثلاثة وغيرها من الملل والنحل، ثم إنه طالما أننا فشلنا من خلال سياسة العنف والعنف المضاد بين الطرفين فنحن بحاجة إلى حل آخر يتمثل في الحوار الجاد.

بناءً على هذا يمكن أن نجمل آليات الحوار المتاحة بين الإسلام والغرب في عالم اليوم فيما يلي:

1- هناك الكثير من الدعوات التي تنبعث من هنا وهناك داعية إلى حوار الحضارات والثقافات والأديان، وبعيدا عن ما يشوب بعض هذه الدعوات من نفاق وتلفيق، لا شك أن ثمة نوايا صادقة تبغي الحوار والتعايش السلمي، وهذا ما يمكن تلمسه من خلال أصوات الشرفاء الإنسانيين من هنا وهناك التي تخرج في كل مرة معبرة عن استنكارها ورفضها للصراع القائم بين الإسلام والغرب، وهذا ما من شأنه أن يفتح إمكانية الحوار والتعايش السلمي، فما دامت هنالك أصوات ترى الحل في الحوار بدل لغة الحروب، فإن هذه الأصوات نفسها تعتبر آلية للتجاوز وتحقيق الحوار، من خلال أشكال وأساليب كثيرة كالمؤلفات والردود والمؤتمرات والمراكز العلمية والدينية التي تقوم هنا وهناك، ولذلك فإنه من المهم تعزيز هذه الجهود والوقوف معها.

2- علينا أن ندرك حقيقة الإشكالية القائمة اليوم بين الإسلام والغرب بعيدا عن الرؤى الإختزالية والحلول التبسيطية، على اعتبار أن مفهومي الإسلام والغرب يحيلان إلى مضامين ثقافية وحضارية معقدة قائمة على التنوع والتعدد، فالإسلام ليس وحدة متجانسة أو شيئا واحدا . كما سبق وأشرنا . بل هناك اليوم على مستوى الفهم والممارسة عدة أنواع من الإسلام والأمر نفسه يتعلق بالغرب، لذا فإنه على الطرفين أن يدركا هذه الحقيقة حتى يصلا إلى فهم متعمق لسلوك المسلمين والغربيين تجاه بعضهما البعض بعيدا عن صخب الخطابات السياسية والايديولوجية التي يتبناها الطرفان.

3- التخلص من سيطرة الإرث التاريخي لدى الطرفين وإعادة تفكيك وكتابة التاريخ كتابة موضوعية بالإعتماد على مناهج علوم الإنسان والمجتمع الحديثة والمعاصرة وهذا تماما ما يدعو اليه محمد أركون في كتابه "الإسلام، أوربا، الغرب" الذي يصر على ضرورة اعادة كتابة التاريخ من خلال مفهومي الزحزحة والتجاوز "بمعنى ينبغي علينا أن نزحزح أولا ثم نتجاوز ثانيا كل الأجهزة المفهومية والمقولات القطعية والتحديدات الراسخة الموروثة عن الماضي، سواء أكان هذا الماضي ينتمي إلى جهة التراث الإسلامي، أم إلى جهة التراث الأوربي . الغربي، فهذه الرواسب والتصورات الماضوية شائعة جدا لدى كلا الطرفين وتشكل أحكاما مسبقة تمنعنا من رؤية الأمور بوضوح، أي من تشكيل نظرة تاريخية حقيقية، كما وتمنع من أي لقاء حقيقي بين الطرفين"[1].

4- إعادة الاعتبار للإسلام الثقافي بدل التركيز على ما يُسمى بالإسلام السياسي، الذي يبدو أنه يُعطي صورة سيئة في نظر الغرب الذي لا يستسيغ فكرة إقامة دولة إسلامية، لذلك من الضروري النظر إلى حركات الإسلام السياسي بأكثر موضوعية بعيدا عن الخطابات الإيديولوجية والسياسية المغرضة، وفي

[1] محمد أركون، الإسلام أوربا الغرب، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، لبنان، ط2، 2001، ص9.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الوقت نفسه على حركات الإسلام السياسي في العالم العربي والإسلامي أن تكون أكثر وعيا ونضجا بمسائل حقوق الانسان والحريات وما إلى ذلك، فهي نقطة الضعف التي كثيرا ما يركز عليها الغرب لضرب مصداقية هذه الحركات.

5- الاطلاع على افكار الآخر وفلسفاته والاعتراف بها في اطار التنوع الثقافي والحضاري بدل النظر إلى ذلك بوصفه تضاداً بين الهويات والثقافات أو صراعا بين المركز والأطراف، وفي ذلك فإن الفعاليات الثقافية العربية والإسلامية مدعوةٌ إلى الإنفتاح على الآخر الغربي وفلسفاته من خلال الترجمة والإحتكاك الثقافي الذي كان في وقت من الأوقات أساسا لانطلاق الحضارة الإسلامية من خلال ترجمة العلوم والآداب والفلسفات اليونانية والرومانية، وعليه فإن الغرب "يجب أن يُصبح مرة أخرى "غربيا" لا "عالميا" ويجب أن ندرك محليته وخصوصيته الحضارية والجغرافية، وأن ننفتح عليه بطريقة نقدية ابداعية تماما مثل انفتاحنا على الحضارات الأخرى، وهذا لا يمكن أن يتم إلا باستعادة المنظور العالمي والتاريخي المقارن بحيث يصبح التشكيل الحضاري الغربي تشكيلا حضاريا واحدا له خصوصيته وتاريخه ويتسم بما يتسم به من سلبيات وإيجابيات تماما كما أن لكل التشكيلات الأخرى خصوصياتها وسماتها وتاريخها"[1]، وبالموازاة مع هذا فإن الغرب مدعو هو الآخر إلى نفس هذه المهمة بالإنفتاح على الحضارات الأخرى وتقبل الإختلاف والتعدد الثقافي والحضاري، وذلك من خلال إعادة بناء الدراسات الإستشراقية وفق منظور معرفي بدل المنظور الإيديولوجي والسياسي القائم اليوم.

6- تحديد المصالح المشتركة والصعوبات والعوائق المشتركة بين المسلمين والغربيين "فهناك العديد من القضايا الدولية الراهنة التي يتفق الجميع على الإهتمام بها أو على مقاومتها خصوصا في الجانبين الأمني والقيمي"[2]، ويكون ذلك من خلال تعزيز دور المؤسسات الدولية السياسية والإقتصادية والثقافية تحت مظلة واحدة وإشراك الدول بدون استثناء في الشرق والغرب وإعادة الإعتبار والمصداقية لهيئة الأمم المتحدة وفروعها، بدل أن تسيطر عليها دول بعينها وتستغلها لأغراضها الضيقة.

7- توظيف الحوار الديني إلى جانب الحوار السياسي باعتبار ما للدين "من أثر لا يمكن تجاهله في حياة الناس أفراداً وجماعات ولما له من أثر كبير وفعال في بناء الوعي الذاتي لدى المجتمعات البشرية قديما وحديثا، فتأثيراته لا تقل عن تأثيرات الإيديولوجيات الحديثة مثل: الإنسانية والعلمانية والوطنية والقومية والشيوعية وما إلى ذلك، كما أن الدين في حقيقته مقوم أساسي من مقومات الحضارات الإنسانية، باعتبار أنه هو الوحيد الذي يوفر لها ويمدها بالقيم والمثل التي بها تحقق وجوها وصيرورتها وقوتها وشرعيتها وديمومتها في التاريخ"[3] واستنادا إلى هذا الدور المحوري للأديان فإن استثمارها في إقامة الحوار بين الشعوب في الشرق والغرب يعد حاجة ملحة في عالم اليوم.

---

[1] عبد الوهاب المسيري، العالم من منظور غربي، دار الهلال، مصر، د ط، 2001، ص254.

[2] فارح مسرحي، مرجع سابق، ص 179.

[3] أنيس مالك طه، حورا الأديان بين بناء جسور التفاهم وحفظ الهُوية، ملجة التجديد، العدد 27، ماليزيا، 2010، ص136.